مقدمة

منذ زمن بعيد يستعمل الإنسان صوته كعنصر أساسي في حياته، اليومية فهو يستخدمه بصفة مستمرة في تفاصيل حياته ، مثل النداء والتحدث مع الآخرين ويستعمله للصيد أو في الحروب حتى أصبح للصوت البشرى دور هام بين الطبيعة والجمال فجمال الصوت هبه من عند الله يهبها لمن يشاء .

يلعب الصوت دوراً بالغ التأثير لا في مزاج الإنسان ونفسيته فحسب، بل أيضاً على الصعيد العضوي. وتطور نوع الأصوات المحيطة بالإنسان بعد الثورة الصناعية فرض جمعها تحت مصطلح المحيط الصوتي الذي بات مادة لدراسات متزايدة أدَّت بدورها إلى مكتشفات مدهشة. وبعيداً عن التذمر من موضوع التلوث الصوتي الذي كثر الحديث عنه أخيراً.

يقول عالم الصوتيات والموسيقى الكندي المشهور موراي شيفر إن حاسة السمع عاملةٌ أبداً، ولا يمكن إيقافها عند الطلب. فآذاننا

مفتوحة على الدوام. أما عيوننا فلها جفون تغطيها، وليس لآذاننا أغطية . وعندما نخلد إلى النوم يكون السمع هو آخر الحواس التي تنطفئ أنوارها، وتكون هي أيضاً أول ما نستقبل به العالم عندما نستيقظ.

وعلاقة الإنسان بالصوت هي إحدى أول العلاقات التي تربطه بالعالم من حوله. فالأذن هي أول عضو يتكون في الجنين، وتبدأ وظيفتها السمعية بعد ١٨ أسبوعاً من عمر الجنين، وتكتمل قدرته على تمييز الأصوات في عمر ٢٤ أسبوعاً. وقد لوحظ أن الموسيقى الهادئة تهدِّئ ضربات قلب الجنين، عكس الموسيقى الصاخبة، التي تزيد معدل ضربات قلبه.

ويعلم المتصلون بعلوم الصوتيات أن الحديث عما يمكن تسميته بالأحوال الصوتية لحضارة البشر في العصر الحديث لا يستقيم من دون التوقف طويلاً عند جهود موراي شيفر، الذي أضفى على المسألة صبغة فلسفية، وكان هو الذي تحت مصطلح المحيط الصوت

(soundscape)، استناداً إلى رؤية تقول بأننا نحن البشر نحاول أن نسمع أصوات البيئة المحيطة بنا على أنها ألحان موسيقية مؤلَّفَة، بينما نحن -بالوقت نفسه- نتحمل مسؤولية تأليف هذه الألحان.!

استخدم شيفر مجموعة من المصطلحات ليوضح نظريته عن المحيط الصوتي. فهناك الأصوات التأسيسية وهي المناظرة للمقام الأساسي في الموسيقى، الذي يحدد طبيعة النغمات في القطعة الموسيقية، أو المؤلَّف الموسيقي. وهناك أصوات المقدمة، وهي الأصوات التي تعمد إلى لفت انتباه المستمع، وهي بمثابة إشارات صوتية لا غنى عنها. كذلك أوجد شيفر مصطلح الثوابت الصوتية ، ويقصد به الأصوات التي يوقرها ويعتز بها مجتمعٌ ما، على نحو خاص، مثل الأصوات المرتبطة بالنشاط التقليدي والناتجة منه. وكل هذه الأصوات، التأسيسية والتقديمية والثابتة، تعبِّر -مثلها في ذلك مثل العمارة والأزياء- عن هوية المجتمع، فهي تمثل مجتمعة المحيط الصوتي المميز له.

فسوف نتناول في هذا الكتاب أهمية الصوت ونعرف أيضا أن الإنسان له صوت من صنفين ، والجهاز الصوتى عند الإنسان ، والجهاز التنفسي ووظائفه ، وندرك أن تربية الصوت هي إحدى تدريبات معلم التربية الموسيقية ، وأهمية الصوت وعلاقته بالموسيقي .

والله ولى التوفيق...

المؤلفة